في العقيدة والمنهج

الصادق بن عبد الرحمن الغرياني

دار ابن حزم

في العقيدة والمنهج

د. الصادق عبد الرحمن الغرياني

2002م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، اللهم صلي وسلم عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وبعد .

فهذا كتاب في العقيدة والمنهج والسلوك ، قصدت فيه ربط العقيدة بالسلوك، وفهمها على طريقة الأئمة المقتدى بهم من أئمة الدين ، وهم أهل القرنين الثاني والثالث ،كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد رضي الله عنهم ، فإن أهل هذين القرنين هم أول من تكلم في مسائل العقيدة كلاما مستقلا ، سمي فيما بعد بمذهب السلف ، إذ لم يكن لمن قبلهم من الصحابة وكبار التابعين تقعيد ولا تدوين للعلوم ، لا في العقيدة ولا في غيرها ، والمنقول عن الصحابة في مسائل العقيدة قليل ومحدود ، لا يكوّن مذهبا يمكن نسبته إليهم ، فإذا قيل: عقيدة أهل الحديث، أو عقيدة السلف، فالمقصود بذلك حصيلة أقوال أئمة القرنين الثاني والثالث وطريقتهم في استنباط مسائل الاعتقاد من نصوص الوحي ، مثل سفيان الثوري ، وابن عيينة ، وابن المبارك ، ومالك بن أنس ، وأبي حنيفة ، والشافعي، وأحمد بن حنبل وأضرابهم ، فهم وإن اختلفوا في الفروع ومسائل الفقه ، ففي مسائل الاعتقاد كانوا على طريق واحد، ومنهج واحد ، يتمثل في أمرين أساسيين هما :

الأول ــ ما أثبته القرآن أو الحديث في أمر العقيدة أثبتوه ، وما نفاه نفَوه، وما سكت عنه سكتوا عنه ، ولم يخوضوا فيه ، فطلبوا السلامة لأنفسهم ، ولم يتكلفوا عناء لم يكلفهم الله عز وجل به ، فكان طريقهم أسلم وأنفع ، وأعلم وأحكم ، فجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء .

كان أسلم، لأنه طريق الفرقة الناجية التي عليها رسول الله ﷺ وأصحابه،

وكان أنفع، لأن مفهوم العقيدة عندهم كان منهج حياة للمسلم ، بما في هذه الكلمة من معنى .

وكان أحكم وأعلم ، لأنه ليس على وجه الأرض أحد أعلم بالله عز وجلّ وما يجب له من رسول الله ﷺ ، فإنه أعلم الناس بربه ، وأتقاهم وأخشاهم لله ، بإجماع أهل الإسلام .

الثاني ــ ربط العقيدة بعمل المسلم وسلوكه ، فلم تكن مسائل العقيدة على عهدهم مجردَ نطق واعتقاد، بل جمعت مع النطق والاعتقاد السلوك والأعمال، العقيدةُ بمفهومها عندهم ليست كلمة ترددها الشفاه وتناقضها النيّات والأقوال والأفعال ، العقيدة عندهم انضباط لسلوك الفرد المؤمن الموحِّد ، القائم بحق ربه وحق عباده، هذا هو مفهوم العقيدة عندهم الذي صار بيننا غريبا.

والكتاب يتناول ثلاثة موضوعات في ثلاثة أبواب:

الباب الأول ــ في المنهج الصحيح الذي ينبغي للمسلم أن يتبعه، ليكوّن على أساسه فكره الديني السّوي، الخالي من الإفراط والتفريط، في الاعتقاد والسلوك، وفي التعامَل مع المخالفين .

الباب الثاني ــ في بيان المعتقد الصحيح، الذي كان عليه سلف الأمة من أهل القرون الخيرّة، في أهم مسائل العقيدة، التي اشتهر فيها الخلاف بين المتأخرين.

الباب الثالث ــ في السلوك والعمل، الذي هو عنوان الإيمان ودليله، ولازم من لوازمه، وذلك:

أ ــ بالتحذير مما يناقض الإيمان من المخالفات الموروثة، والعوائد الفاسدة التي أحدثها الناس في التديّن ، وعبدوا الله بها على خلاف الدليل، و أقوال أهل العلم.

ب ــ بالتنبيه على الفهم الخاطئ القاصر، الذي فهم على أساسه أكثر عامة المسلمين اليوم الإيمان، جامدا مشلولا، معزولا عن حياة الناس وأعمالهم وسلوكهم، فإن التنبيه على ذلك من شأنه تصحيحُ الإيمان ، وحماية التوحيد ، وبه تكون صحة الاعتقاد، وصلاح العمل .

وهذا الباب الأخير، فيه نقد مباشر لمخالفات وأمراض سلوكية، شائعة في المجتمع الإسلامي، ناتجة عن الفهم الخاطئ للإيمان ، وغيابه عن الحياة اليومية، وتشترك في هذه الأمراض معظم بلاد المسلمين، التي هيمن عليها (الروتين) في الإدارات والأعمال، على تفاوت بينها في الإصابة بهذه العلة أكثر من غيرها أو تلك، وقد شمل النقد فئات عريضة من هذه المجتمعات، وما أردت بذلك التعميم والشمول ، فإني أعتذر للمخلصين المؤمنين منهم ، والصالحين ، الذين يُصلحون ولا يفسدون ، ويحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا، فلا تزال طائفة من الأمة على الحق والهدى ، وهم قليل ، عسى الله أن يكثّرهم، ويهدي بهم من ضل، إنه سميع مجيب.

وما أردت بما ذكرته من المخالفات التشهير بأحد، ولا تنقيصه ولا عيبه، وإنما أردت التحذير من السلوك ذاته، المنافي للإيمان، ليكون تذكيرا للغافل، وتبصيرا للجاهل، وعونا لمن يريد الحق، عسى الله أن ينفع به.

هذا ما قصدت إليه، والعون من الله وحده لا شريك له، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الصادق بن عبد الرحمن الغرياني

في تاجوراء 23 شعبان 1422 هـ / 9 نوفمبر 2001 م

فهرس الموضوعات